

الأديب و المُفكّر الرَّاحِل رَمَضانَ عَبدِ الرَّحمنِ لَأوَنَد

خاطرة جريدة المساء

-69-

هل تعلم يا عزيزي المستمع أنّ البراءة هي الأساس والأصل؟ وهل تعلم أنّ المتّهم بريء حتى تثبت إدانته؟ إذا كنت تعلم هذا وذاك فأنت جدير بأن تتعامل مع غيرك من الناس وأنت واثق من سلامة الطريق وحسن الأسلوب في تعاملك. ولو أنّك حاولت أن تدخل إلى أعماق نفسك وتبيّن أسرارها وتتعرف إلى نوازعها العميقة لأدركت تمام الإدراك أنّك تحمل في أعماق هذه النفس شحنة كبيرة من الحب تدفعك إلى الاندماج في نفوس الآخرين، تأنس بهم وتطمئن إلى جوارهم، كما أدركت أيضاً بأنّ الخوف وحده هو الذي يحول دون أن تمدّ يد التعاون مع غيرك. فإذا قاومت مصادر هذا الخوف وأسبابه وحاولت أن تكتشف نوازع الخير عند زملائك وجيرانك وعملائك فإنّك لا بد وأجد عند هؤلاء الخير الذي تبحث عنه والأنس الذي تسعى إليه والثقة التي تعقدها صلاتك معهم.

ولا تنس يا عزيزي المستمع أنّ ما في نفسك من نوازع الحب والرغبة في الاندماج مع الآخرين، وأنّ ما في نفسك من الخوف من جيرانك وزملائك والمتعاملين معك هو ما يكتشفه الآخرون في نفوسهم. والدعوة الموجهة إليك السيطرة على مخاوفك الوهمية هي أيضاً موجهة إلى غيرك، واستعدادك لمديد التعاون وتغذية روح الثقة بغيرك موجود عند هذا الغير.

ولعلّ السنّة النبويّة الكريمة التي نادى بإفشاء السلام بينك وبين من تعرف ولا تعرف هي الأسلوب العلمي للتغلب على مصادر الشك والرّيبة والفوز بمصادر الثقة واليقين، على أنّ الدعوة إلى إفشاء السلام لا تعني تجاهل خطّة الحذر، ففي الدنيا كثيرون من الناس من يتغلب عليهم فيتصرفون تصرفاً يبعث الرّيبة في نفسك ويباعد ما بينك وبينهم، ولكن إفشاء السلام الذي نادى به رسول الله صلى الله عليه وسلّم هو مسؤولية موكّلة إليك تقاوم بها أسباب الخوف وتحاول عن طريقها أن تغزو قلوب الآخرين وتفوز بثقتهم.

إنّ الحياة الدنيا بكل ما فيها وبكل ما تفرضه من الواجبات والحقوق مسؤولية كبرى وأمانة يحملها الإنسان باعتباره المخلوق المتميّز بالإرادة والمتسلّح بالإيمان والوائق بالعناية الإلهية، إنّها تعني كفاح المتفائل الذي يسعى

إلى مقاومة نوازع الشر وتغذية مصادر الخير التي فطر كلّ منها عليها. المهم هو السعي الدؤوب إلى الكشف عن كنوز المحبة وإلى التوسّل بالوسائل المشروعة للفوز بشحنة الحب عند الناس.

لا تنس أنّ المنافق والمنحرف والبخيل والجبان وغيرهم ممن زرع الخوف كل المساوىء في نفوسهم هم مرضى يحتاجون إلى عونك بالرحمة تارة والصبر تارة أخرى والحزم مرة ثالثة والشجاعة في الالتزام للقيم الرفيعة مرة رابعة. إنّ النجاح في تكوين حياة اجتماعية سليمة لا يتم دون تضحية لا سيّما وأنّ الله عزّ وجلّ قد جعل من الفتنة وسيلة لامتحان أخلاقك، فالفتنة قدر قضيت به إرادة الله عزّ وجلّ. وقد علمنا هذه الحقيقة في آيات قرآنية كثيرة منها قول الله عزّ وجلّ: **أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** .

ومنها قوله أيضاً في معرض الحديث عن الابتلاء، والابتلاء هو فتنة أيضاً وامتحان كبير: **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** . صدق الله العظيم.